الكَنِيْسَةُ المشْيَخيَّةُ في أُسْكتلندَا دِرَاسةٌ في النَّشْأةِ والمعْتَقَدِ

أ.د. يوسف بن علي الطريّف

أستاذ في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - جامعة القصيم،، المملكة العربية السعودية.

trief@qu.edu.sa

تاريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٠٩/٢٥م

تاريخ القبول: ٢٠٢٥/١٠/١٩م

تاريخ النشر: ٢٠٢٥/١٠/٣١م

ملخص البحث:

يهدف البحث إلى دراسة النشأة التاريخية والعقائد اللاهوتية للكنيسة المشيخية، مع تحليل تأثير الكالفينية في تشكيل فكرها وتنظيمها الكنسي. كما يسعى إلى تتبّع تطور النظام المشيخي في اسكتلندا منذ القرن السادس عشر حتى العصر الحديث، مبرزاً خصائصه ودوره في الحياة الدينية والاجتماعية. اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي في عرض الوقائع وتفسيرها على ضوء المصادر التاريخية واللاهوتية.

توصل البحث إلى أن الكنيسة المشيخية تُعد إحدى أكبر الطوائف البروتستانتية، نشأت في اسكتلندا على يد جون نوكس متأثرة بأفكار جون كالفن، وأن عقائدها تتقارب مع المذهب الكالفيني في مبادئه الأساسية، خاصة عقيدة سيادة الله والنقاط الخمس (TULIP). كما بين أن النظام الإداري للكنيسة يقوم على حكم الشيوخ في تسلسل هرمي ينتهي بالجمعية العامة، وأن "اعتراف وستمنستر للإيمان" يمثل دستورها العقائدي الرسمي. وأوضح البحث أن الكنيسة المشيخية واجهت صراعاً تاريخياً مع الكاثوليكية، وأسهمت لاحقاً في الدعوة إلى الوحدة المسيحية من خلال الحركة المسكونية ومجلس الكنائس العالمي..

الكلمات المفتاحية: الكنيسة المشيخية، الكالفينية، جون نوكس، اعتراف وستمنستر، الإصلاح الديني.

الإحالة: الطريّف ، أ.د. يوسف بن علي ، ٢٠٢٥ ، الكَنِيْسَةُ المشْيَخيَّةُ في أُسْكتلندَا دِرَاسةٌ في النَّشْأةِ والمعْتَقَدِ، مجلة القلم للعلوم الإنسانية والتطبيقية (علميَّة - دوريَّة – محكَّمة) ١٢-٥١، ص ص ١١٤-١٤٣.

Presbyterian Church in Scotland: A study in origin and belief

Dr. Yousef bin Ali Alturaif

Professor, Faculty of Shariah & Islamic Studies, Department of Islamic Doctrine & Contemporary Ideologies

Qassim University, Saudi Arabia

Received (date): 25/09/2025
Accepted (date): 19/10/2025
Published (date): 31/10/2025

Abstract:

This article aims to examine the historical origins and theological doctrines of the Presbyterian Church, analyzing the influence of Calvinism on its beliefs and ecclesiastical organization. It also traces the development of the Presbyterian system in Scotland from the 16th century to the present, highlighting its distinctive features and role in religious and social life. The researcher adopted the descriptive-analytical method to present and interpret facts based on historical and theological sources. Findings indicate that the Presbyterian Church is one of the largest Protestant denominations, founded in Scotland by John Knox under the influence of John Calvin's ideas. Its doctrines align closely with Calvinism, particularly the belief in God's sovereignty and the five points. The study also shows that the church administrative system is based on the rule of elders in a hierarchical structure culminating in the General Assembly, and that the Westminster Confession of Faith serves as its official doctrinal constitution. Furthermore, it reveals the church's historical conflict with Catholicism and its later participation in the ecumenical movement through the World Council of Churches.

Keywords: Presbyterian Church, calvinism, John Knox, Westminster confession, reformation.

المقدمة:

الحمدُ للهِ، والصّلاة والسّلام على رسولِ اللهِ وعلى آلِهِ وصحبِهِ؛ وبعدُ.

تعتبر (*الكنيسة المشيخيّة*) إحدى الكنائس المسيحية التي تلتزم بالتقاليد اللاهوتية الكالفينية البروتستانتية، ويقوم تنظيمُها وفقًا لسياسة/*المشيخيّة* المميزة، وفي عام ١٦٤٣م أُلغيت الأسقفية، ولفترة ما كانت المشيخية ديانة إنجلترا، وكانت المشيخية (Presbyterianism) هي إحدى أعظم تيارات النظم البروتستانتية، والنظام المشيخي أو البريسبيتارية هي كنائس نصرانية ترجع في أصولها إلى كنيسة اسكتلندا، وتعتمد في عامة مبادئها على تعاليم المصلح الفرنسي اللاهوتي (جون كالفن. John Calvin) ت ١٥٦٤م، وتختص الكنيسة المشيخية بحكم مجالس الشيوخ؛ شيوخٍ حاكمين وشيوخٍ معلمين، ولها مبادئها الخاصة في المعتقد اللاهوتي، وتعتبر جزءاً من الحركات التجديدية البروتستانتية، يُذكر بأن معظم المشيخيين في بريطانيا يعودون إلى أصل أسكتلندي، وانتقلت المشيخية إلى أمريكا الشمالية على يد المهاجرين الاسكتلنديين والإيرلنديين، وانتشرت كذلك في أماكن متفرقة من بلاد أوربا وأفريقيا.

أهمية الدراسة:

إن المشيخية المعاصرة تتضمن تصورات لاهوتية، تتمايز بها عن الكنائس الأخرى، وللكنائس المشيخية حضور كبير في اسكتلندا؛ إذ عامة الكنائس الاسكتلندية كنائس مشيخية أو أبرشية في نظامها، وتشكل المشيخية مجموعة كبيرة من الطوائف في البلدان الناطقة بالإنجليزية، وللمشيخية دور مهم في الحركة المسكونية، وفي مجلس الكنائس العالمي.

لذا فإن دراسة نشأة الكنيسة المشيخية ومعتقداتها، يصوّر التطور العقدي للمسيحية المنتشرة في أوربا وأمريكا وغيرهما، ويبرز أوجه الاتفاق والاختلاف بين الكنائس البروتستانتية في العالم.

أهداف الدراسة:

١. الوقوف على تاريخ الكنيسة المشيخية وظروف نشأتها.
٢. التعرّف على العقائد اللاهوتية للكنيسة المشيخية، وما اختصت به في ذلك من بين الكنائس المسيحية.
٣. إبراز دور الكالفينية في التأثير على المشيخية.
٤. الوقوف على الأثر الكنسي للنظام المشيخي في اسكتلندا منذ القرن السادس عشر وحتى عصرنا الحاضر؛ لا سيما وأن الإصلاح الكنسي دخل اسكتلندا متأخراً.

الدراسات السابقة:

لم أجد خلال البحث دراســة عربية للكنيســة المشــيخية، وإنما تُذكر في بعض كتب الأديان بصـورة مختصـرة جداً، ولذا اعتمدت على المصـادر الأجنبية وعلى من كتب عنها في مواقع مسـيحية أو مشيخية.

منهج الدراسة:

المنهج المتبع في مثل هذه الدراسة هو المنهج التحليلي الوصفي.

خطة الدراسة:

اشتملت الدراسة على مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة ، وفيها أهمية البحث وأهدافه ، والدراسات السابقة ، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث الأول: نشأة المشيخية، وسبب التسمية.

المبحث الثاني: علاقة المشيخية بالكالفينيّة.

المبحث الثالث: مبادئ الكنيسة المشيخية (اللاهوت)

المبحث الر ابع: ارتباط الكنائس المشيخية بالكنائس الأخرى.

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.

المبحث الأول: نشأةُ المشيخيّة، وسببُ التسمية:

تعود جذور الكنيســة المشــيخية (The Presbyterian Church) إلى الإصــلاح البروتســتانتي (Protestant Reformation)[١] الـذي تزعمـه (مـارتن لوثر) (Martin Luther)[٢] الألماني الشــهير؛ وذلك عام ١٥١٧ للميلاد؛ ثم كان لظهور المصـلح السـويسـري (جون كالفن) (John Calvin)[٣] دور كبير في الإصلاح البروتستانتي بشكل عام؛ وفي ظهور النظام الكنسي المشيخي بصفة خاصة.

ويعتقد أتباع الكنيســة المشــيخية بأن كلمة: المشــيخية (Presbyterian) مأخوذة من الكتاب المقدس؛ وبـالتحـديـد من الكلمـة اليونـانيـة (elder) يعني: شــيخ؛ أو مســنّ، وحينئذٍ فـالكنـائس المشــيخية تأخذ اســمها من الطريقة التي تحكم الكنيســة؛ حيث يجب أن يحكمها الشــيوخ أو الكهنة[٤]، وللكنيسة المشيخية نظامها الخاص في انتخاب هؤلاء الشيوخ؛ كما سيأتي.

وتعتبر الكنيسـة المشـيخية من الكنائس الإصلاحية، أو المصلَحَة، أو الإنجليلية، كل ذلك تمييزاً لها عن الكنيسـة الرومانية الكاثوليكية؛ غير المصـححة أو غير المتغيرة، بعد الجدل الكبير بين هذه الكنائس حول العشاء الرباني؛ وذلك بعد عام ١٥٢٩م.

ووفقاً للتسلسل التاريخي لكنيسة اسكتلندا فقد تم تأسيسها كأول كنيسة مسيحية في القرن الخامس الميلادي، وفي عام ١١٩٢م تم الإعلان بأن الكنيسـة الاسـكتلندية تابعةٌ للكرسـي الروماني،

وخاضعة للبابا فقط، واستمر الحال إلى أن حلّ القرن السادس عشر حيث خضعت اسكتلندا (Scotland)(٥) للإصلاح البروتستانتي منذ عام ١٥٦٠م.

وكان المصلحون الاسكتلنديون الأوائل تحت النفوذ اللوثري؛ لكنهم تأثروا لاحقاً بالإصلاحيين السويسريين، وبعد الخلاف مع روما كان من غير المؤكد لأكثر من قرن من الزمان ما إذا كانت الكنيسة في اسكتلندا ستكون أسقفيةً أو مشيخيةً في نظامها.

وقد فضل تشارلز الأول الذي حكم اسكتلندا وانجلترا ما بين عامي (١٦٢٥-١٦٤٩م) الشكلَ الأسقفيَ، بينما أصرَّ الشعب الاسكتلندي على الشكل المشيخي، وكان النضال طويلاً ومعقداً، إلا أنه في عام ١٦٨٩م تم تأسيس الكنيسة المشيخية بشكل دائم في اسكتلندا.

وقد ظهر تنظيم الكنيسة المشيخية حين تزعّم هذا النظامَ الكنسيَّ المصلحُ البروتستانتيُّ (جون نوكس) (John Knox) وكانت كنيسة اسكتلندا (Scotland Church) تابعةً للكنيسة الكاثوليكية في روما؛ وكان "جون نوكس" كاهناً في كنيسة اسكتلندا؛ ولكنه سئم مما رآه من انتهاكات في القيادة الكاثوليكية للكنيسة، ولذا تعرض "نوكس" إلى النفي؛ حيث نُفي إلى إنجلترا (England)(٦) في حدود عام ١٥٤٦م، واستطاع أن يحصل على ترخيص للوعظ في كنيسة إنجلترا؛ وعندما تولت (ماري تيودر) (Mary Tudor)(٧) العرشَ الإنجليزي بدأ الاضطهاد الدموي للبروتستانت؛ ففرَّ نوكس من إنجلترا والتقى بـ (جون كالفن) (John Calvin)(٨) وبدأ في دراسة علم اللاهوت الإصلاحي، وفي عام ١٥٥٩م عاد (نوكس) إلى اسكتلندا؛ وصرّح بتأييده للإصلاح اللاهوتي ولمفهوم القيادة المشيخية في الكنيسة، يُذكر أن عدداً من اللوردات الاسكتلنديين كانوا مؤيدين للإصلاح الديني، ولذلك تقبلوا تعاليم (جون نوكس).

وبعد إصدار (اعتراف الإيمان الاسكتلندي)(٩) عام ١٥٦٠م انتهى الاعتراف بالحكم البابوي، وبقي الاعتراف الاسكتلندي هو الدليل العقائدي الأساسي لكنيسة اسكتلندا حتى عام ١٦٤٧م.

وفي بداية القرن السابع عشر أرسل الملك جيمس الأول(١٠) عدداً من المشيخيين الاسكتلنديين إلى إيرلندا الشمالية؛ لفرض السيطرة البريطانية هناك، وبحلول القرن الثامن عشر الميلادي ظهرت مشاكل اقتصادية في إيرلندا ومن هنا بدأت هجرة الاسكتلنديين إلى أمريكا، وتم تشكيل أول كاهن في فيلادلفيا (Philadelphia)(١١) عام ١٧٠٦م، ومن هذا التاريخ انتشر مذهب الكنيسة المشيخية في المستعمرات البريطانية هنالك.(١٢)

وإذا كان (جون نوكس) هو المؤسس للكنيسة المشيخية فمن المهم معرفة شيء عن هذه الشخصية؛ والتي من خلالها نستطيع الوقوف على تفاصيل نشأة الكنيسة المشيخية؛ فمن هو جون نوكس؟(١٣)

ولد (جون نوكس) في اسكتلندا عام ١٥١٤م، وفي مسيرة حياته العلمية يُذكر أنه التحق بجامعة (سانت أندروز)[١٤] ثم رُسم عام ١٥٣٠م كاهناً في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية؛ وفي عام ١٥٤٤م التقى بالمصلح (جورج ويشارت) (George Wishart) وأصبح معادياً للقداس الروماني (Roman Mass) بل والنظر إلى هذا القدّاس بأنه نوع من أنواع عبادة الأصنام، وهنا صار نوكس منخرطاً بالكلية في حركة الإصلاح الاسكتلندية.

وفي عام ١٥٤٧م هاجمت طائفة من الفرنسيين. الذين كانوا حلفاء كاثوليكيين لاسكتلندا. قلعةً اسكتلنديةً لقمع انتفاضة بروتستانتية؛ وهناك قُبض على "جون نوكس" وسيق عبداً إلى فرنسا؛ وبقي فيها تسعة أشهر، ثم أُطلق سراحه وعاد إلى اسكتلندا، ثم رجع إلى هجومه على القداس الكاثوليكي، وكتب كتابه *"Vindication That the Mass Is Idolatry"*: (إثبات أن القداس هو عبادة الأصنام) ولم يمكث "نوكس" طويلاً فقد كُفّت يده عن العمل عندما اعتلت ماري تيودور الكاثوليكية العرشَ الإنجليزي؛ والتي كان يطلق عليها (ماري الدموية) وهنا طُرد "نوكس" من إنجلترا...

ولما خرج (نوكس) من إنجلترا توجّه إلى جنيف (Geneva) حيث التقى بـ "جون كالفن" الذي كان من أبرز دعاة اللاهوت الإصلاحي، ثم غادر "نوكس" جنيف متوجهاً إلى فرانكفورت (Frankfurt) بألمانيا.

وفي عام ١٥٥٥م عاد (جون نوكس) إلى اسكتلندا، ولم يلبث أن طُرد بسبب الاضطهاد فاضطر للعودة إلى جنيف، وصار راعياً للكنيسة الإنجليزية هناك، وفي هذه الأثناء قدَّم (نوكس) مساهمتَه الأكثر شهرة في الإصلاح؛ وذلك أن الإصلاحيين كانوا يعتقدون بأن على المسيحي أن يعيش دائماً في خضوع تامٍّ للسلطات العَلمانية[١٥] وأن المِلك أنشأه الله! وحينئذٍ تجب طاعته، وحتى الملوك الأشرار يجب طاعتهم ما دامت أوامرهم لا تنتهك الكتاب المقدس.

وبالنسبة لـــ (نوكس) فلم تكن هذه الطاعة مقبولةً لديه؛ حيث أدت تجربته في الاضطهاد، ونظرته إلى عبادة الأوثان، وموقفه من إصرار الأنبياء على تطهير أمة إسرائيل من عبادة الأصنام؛ إلى موقف مخالف تماماً للسائد المتمثل في الخضوع للعرش؛ فكما لا يستطيع المسيحيون طاعة القوانين الشريرة فيجب ألا يخضعوا للحكام الأشرار، ولذا كان القداس الكاثوليكي عند "نوكس" عبادةً وثنية، وبهذا يكون الكاثوليكي عابداً للأوثان، ويرى بأن كل ملك كاثوليكيٍّ ـــ مثل الملكة ماري الأولى ـــ حكماً وثنياً وشريراً، ولا يجب على المسيحيين أن يخضعوا لهؤلاء الحكام بل يجب عليهم معارضتهم.

وبعد عودة (نوكس) إلى اسكتلندا عام ١٥٥٩م قاد حزبَ الإصلاح في اسكتلندا، وواصل تعزيز الإصلاح للوصول إلى الهدف، وعلى مدى الثلاث عشرة سنةً الأخيرة من حياته حارب من أجل الإصلاح في اسكتلندا، وعارض الكنيسة الكاثوليكية، وتمرَّد على الحكام الكاثوليك.

ويصف ول ديورانت عداء نوكس في رسائله وثورته ضد الكنيسة الكاثوليكية فيقول ـ عن عدائه للكاثوليك ـ: "ولم تكن رسائله مجرد تمارين أدبية بل كانت وكأنها هزيم رعد سياسي وكانت تضارع رسائل لوثر في قوة الهجاء. وكانت الكنيسة الرومانية عنده ـ كما هو الحال عند لوثر ـ "بغيّاً"... دنستها تماماً كل ضروب الفجور الروحي". وكان الكثالكة "بابويين أضرَّ من الوباء" و"تُجارَ قداس" وكان قساوستهم "ذئاباً مفترسة"." وتؤكد فلسفة نوكس الأخلاقية بأن الساسة لا يجوز أن يتحرروا من القانون الأخلاقي كغيرهم من طبقات المجتمع، ويجب على الحكام والمحكومين أن يطيعوا تعاليم الكتاب المقدس.(١٦)

تبنى البرلمان كتاب نوكس (نموذج الصلاة) عام ١٥٦٠م، والذي أظهر فيه مديونيته لكالفن، كما ركز على الكتاب المقدس؛ الذي اعتبره يصف عناصر العبادة المسيحية، وأدت معارضة نوكس للقداس إلى تأكيد العهد القديم، واعتنق التقاليد العقائدية للكنيسة الأولى، وركز على وجهة نظر الإصلاح الخاصة بالإيمان، والتبرير والتقديس، والكتاب المقدس، وسلطته، ودافع عن النظام المشيخي باعتباره كتابياً، وفرض البرلمان هذا النظام على اسكتلندا، ولم يوافق نوكس على تدخل الدولة في سلطة الكنيسة لكنه أجاز التعاون بين السلطات المدنية والكنيسة، وطالب بتوفير التعليم للجميع في الكنيسة.(١٧)

وعلى الرغم من إصرار "نوكس" وما قام به من جهود كبيرة لتعزيز الإصلاح إلا أن هدفه لم يتحقق؛ حتى توفي سنة ١٥٧٢م، وخلفه "أندرو ميلفيل ـ ١٥٤٥م ـ ١٦٢٢م" (**Andrew Melville**) وقام بتقوية الحركة المشيخية في اسكتلندا، ونادى ميلفيل إلى أنه يجب انتخاب الوزراء من قبل الشعب، ونظم اجتماعات مجالس الكنائس المحلية والإقليمية والوطنية موضحاً اهتمامه المسكوني، وكان همه الرئيس الحفاظ على استقلال الكنيسة عن سيطرة الدولة، وقاد المقاومة ضد الهجمات الملكية على الحريات.

وفي عام ١٦٠٥م أُستدعي ميلفيل إلى لندن، وقد كانت قصيدته اللاتينية الساخرة التي ألفها لمكافحة الضغوط الأنغليكانية المستمرة عليه حولت حياته المهنية إلى اتجاه آخر، فسجن في برج لندن أربع سنوات بسبب عناده، ثم أطلق سراحه لقبول كرسي اللاهوت الكتابي في فرنسا بجامعة سيدان، وبقي فيها إلى أن توفي، وترك نوكس وملفيل وآخرون بصماتهم على الكنيسة المشيخية في اسكتلندا.(١٨)

ومنذ عام ١٦٩٠م تبنت كنيسة اسكتلندا النظام المشيخي، وأصبحت تتمتع باستقلال عن الدولة، وأصبحت الكنيسة المشيخية هي الكنيسة الوطنية للشعب الاسكتلندي؛ وهي تشكل أكبر طائفة مسيحية في البلاد، ويطلق الاسكتلنديون على كنيسة اسكتلندا كلمة: (kirk).

وبحلول عام ١٩٠٠م اتحدت الكنيسة الحرة في اسكتلندا مع الكنيسة المشيخية المتحدة التي تشكلت عام ١٨٤٧م من قبل مجموعات معارضة سابقة؛ وصارت بعد ذلك تشكل "الكنيسة الحرة المتحدة"؛ مع وجود نوع من الاحتجاج من قبل أعضاء في الكنيسة الحرة على ذلك الاتحاد.

وفي عام ١٩٢١م وافق البرلمان البريطاني على قانون كنيسة اسكتلندا، واعترف باستقلالها الكامل في النواحي الروحية، واعتبارها كنيسة وطنية، وأصبح الملك عضواً عادياً فيها.

المبحث الثاني: علاقةُ المشيخيةِ بالكالفينيّة:

تقدم أن جون نوكس كان قد تزعم التنظيم المشيخي للكنيسة الأسكتلندية، ولذا فإن الباحثين في تاريخ الكنائس المسيحية يؤكدون على أن الكنائس المشيخية تعود جذورها إلى عمل جون نوكس، فهو المؤسس الحقيقي لها، وأن جون كالفن، كان له دور كبير في ظهور الكنائس الإصلاحية على وجه العموم، وهو وإن لم يكن مؤسساً للكنائس المشيخية؛ لكنه بالتأكيد كان له تأثيره البالغ هو وتلميذه جون نوكس في ظهورها بهذا التنظيم في اسكتلندا وإنجلترا وسويسرا وهولندا وفرنسا.

ويجدر بنا هنا أن نذكر لمحة مختصرة عن(الكالفينية): فنقول بأن (Calvinism) : مذهب مسيحي بروتستانتي أسسه (جون كالفن) (John Calvin) أحد أبرز قادة الإصلاح البروتستانتي في أوربا في القرن السادس عشر.

جون كالفن (١٥٠٩-١٥٦٤م)[١٩] وُلد ونشأ في فرنسا، وكانت عائلته كاثوليكيةً، ومدينته لها طابع كنسي كاثوليكي؛ يسيطر عليها أسقفها وكاتدرائيتها، نال الماجستير ثم الدكتوراه في القانون، واهتم باللغة اليونانية، وقد ذكر عن نفسه بأنه كان مُولعاً بالخرافات البابوية والتسليم لها، ويقول إنه حصل له تحولٌ مفاجئ، وصار إنجيلياً وذلك عام ١٥٣٤م، مكرّساً نفسه كلياً لخدمة القضية الإنجيلية؛ وتأثر بكتابات لوثر، وكان عدد من أصدقاء كالفن يبحثون عن إصلاح الكنيسة، ولم يكن كالفن بمعزل عن الاضطهاد فقد قبض عليه مرات عدة.

ويصف ول ديورانت شخصية جون كالفن فيقول بأنه كان "رجلاً صوفياً صارماً حزيناً ذا بشرة قاتمة هربت منها الدماء، ولحية سوداء قليلة الشعر، وجبهة عريضة وعينين قاسيتين نفاذتين. وكان قصير القامة نحيل الجسد ضعيف البنية لا يكاد يصلح لأن يحمل بين يديه. ولكن خلف الهيكل الضعيف يتوقد ذهن حاد فذ مخلص مدقق وإرادة حازمة لا تقهر ولعلها إرادة للقوة"

ويقول ــ أيضاً ــ: "وكان شديد الحساسية للنقد ولم يكن في وسعه أن يتحمل المعارضة... وكان يعيش في بساطة ويأكل قليلاً، ويصوم دون أن يقصد التباهي، ولا ينام إلا ست ساعات في اليوم"[٢٠]

في عام ١٥٣٦م نشر كتابه "أسس الدين المسيحي"[٢١] وحرّم برلمان باريس تداول الكتاب بلغتيه الفرنسية والإنجليزية، وأحرقت نسخ منه علناً...

وأخذ (كالفن) من (مارتن لوثر) عقيدة التبرير أو الاختيار بالإيمان، ومن زوينجلي (Zwingli)[٢٢] التفسير الروحي للقربان المقدس، ومن (مارتن بوسر) (Martin Bucer)[٢٣] الآراء المتناقضة عن مشيئة الله، باعتبارها سبباً لكل ما يحدث، والحاجة إلى ورع عملي قوي، باعتباره امتحاناً وشاهداً على الاختيار. ووصلت معظم تلك العقائد في صيغة أخف إلى التراث الكاثوليكي.

كان كالفن شديد التعصب، حاد الطبع، ولما استتب الأمر له في جنيف جعل هيئة من رجال الدين تصوغ عقيدةً رسميةً؛ وعلى الذين لا يقبلون اعتناقها من أهالي جنيف، أن يبحثوا لهم عن مواطن أخرى. وكان التغيب في إصرار عن حضور الصلوات البروتستانتية، أو الاستمرار في رفض تناول القربان المقدس، من الجرائم! ونفذ ما بين عامي ١٥٤٢ و ١٥٦٤ حكم الإعدام في ثمانية وخمسين شخصاً، ونُفي ستة وسبعون، بسبب مخالفتهم للقانون الجديد.

وقد ركز كالفن على الأخلاق والتزامها كما العقيدة، وحرم المذهب الكالفيني المقامرة ولعب الورق والتجديف والسكر والتردد على الحانات والرقص، والأغاني الماجنة أو الخارجة عن الدين، والإفراط في اللهو، والبذخ في العيش، والتبذل في اللباس...ومن يرتكب ما يُعتبر من الفسق يُعاقب بالنفي أو بالموت غرقاً، ومَن يُقارف جريمة الزنا أو الكفر أو عبادة الأوثان يعاقب بالإعدام، والتزم مذهب كالفن بالعمل الشاق والاجتهاد والاعتدال في النفقة، وأصبح الاقتصاد قانوناً دينياً.[٢٤].

وعلى الرغم من أن كالفن مدين للوثر والمصلحين الآخرين إلا أن له مساهماتٍ خاصة في الإصلاح، وانتشر تأثيره في جميع أنحاء أوربا والجزر البريطانية، وحصلت تحولات وتغيرات في الثورة الفكرية المعروفة بعصر النهضة، وقد ورث الناس في القرنين التاسع عشر والعشرين تلك الاضطرابات، وفي المقابل قدم الإصلاحيون مساهماتهم في ظهور العالم الحديث، وهنا ينصب التركيز على جون كالفن، حيث قدم وأتباعه مساهمات كبيرة في تطوير التعليم والحياة السياسية والاقتصادية في العالم النصراني.

وكان زوينجلي قد أكد في إصلاحه على المعمودية والعشاء الرباني، واعتبر العشاء الرباني تذكاراً كان فيه المسيح حاضراً بقوة الروح القدس، وكان زوينجلي معروفاً بأخلاقه الصارمة، وبعد وفاته نشر كالفن كتابه (معاهد الدين المسيحي) عام ١٥٣٦م، وهو أشهر بيان له عن الإيمان الإصلاحي، وشكل كالفن الحياة الدينية لمدينة جنيف، وأعاد تنظيم حكومة الكنيسة في ظل نظام تمثيلي

للقساوسة والعلمانيين مع استمراره على علاقة مناسبة مع القضاة المدنيين في المدينة، ولذا وصف جون نوكس مدينة جنيف بأنها أكثر مدرسة مثالية للمسيح موجودة على الأرض منذ أيام الرسل.

يرى كالفن بأن المسيح حاضر روحياً وليس جسدياً من خلال الاستحالة الجوهرية، وكان يرى الاحتفال بالعشاء الرباني كل أحدٍ، ويرى بأن ضباط الكنيسة هم على أنواع أربعة: الرعاة والمعلمين؛ وهؤلاء مسؤولون عن العبادة والتعليم، والشيوخ وهم مسؤولون عن الانضباط، وشمامسة، وهؤلاء مسؤولون عن رعاية الفقراء والمرضى.[٢٥]

<u>وكان من أبرز العقائد التي التزمها المذهب الكالفيني ما يلي:</u>

أولاً: القول بالجبر.

اعتمد كالفن عقيدة الجبر على "أوغسطين"[٢٦] الذي استخلص القول بالجبر من "بولس"، فقد قال "بولس": "لقد اختارنا الرب في نفسه قبل خلق العالم بأن علينا أن نكون أمامه أطهاراً، لا تشوبنا شائبة في الحب، وقدر علينا أن نتخذ لنا أبناء، كما اتخذ المسيح عيسى ابنا له بمشيئته" وفسر كالفن هذا، كما فسره لوثر، بأن معناه أن الرب قد قرر بمشيئة حرة، لا تتوقف أبداً على ما نتمتع به من فضائل أو نتصف به من رذائل، وقبل خلقنا بوقت طويل، مَن منا يكتب له النجاة، ومَن يعذب في نار جهنم...ويرى كالفن بأن خروج آدم وحواء من الجنة، وما ترتب عليه من نتائج بالنسبة للجنس البشري .في رأي بولس .فرضته مشيئة الرب...[٢٧].

ويرى بعض الباحثين بأن فلسفة (كالفن) في القدر هي عكس فلسفة القدرية التي تمجد الإنسان كحَكَمٍ على مصيره، وأنه يعمل بمحض إرادته! بل تقف الكالفينية لتضع سيادة الله على العرش على جميع مخلوقاته وعلى جميع أعمالهم، وتختلف عن القدرية كذلك لأنها تعترف بالوكالة الحرة للإنسان، وتصر على استخدام الوسائل البشرية...![٢٨]

ثانياً: هاجم كالفن "القداس" وقال بأن دعوى أن المسيح يحل في رقاقة الخبز هي دعوى وثنية محضة.

ثالثاً: يرى كالفن بأن الصور المنقوشة للرب تشجيع على عبادة الأوثان؛ فيجب إزالة التماثيل الدينية؛ بل والصليب من الكنائس.

رابعاً: يعتقد كالفن بأنه لا خلاص خارج نطاق الكنيسة.

خامساً: يرى بأن الدولة والكنيسة مقدستان، وخلقهما الله ليعملا في انسجام كالروح والجسد.

سادساً: يؤكد كالفن بأن على الكنيسة أن تضع القواعد التي تنتظم العقيدة والعبادة والأخلاق[٢٩].

وبعد استعراضنا للمذهب الكالفيني نعرّج على العلاقة بين هذا المذهب والكنيسة المشيخية، ولعل من أبرز ما يظهر للباحث هو أن الكنيسة المشيخية ـ على حد قول "ول ديورانت" ـ ظلت على ولائها للاهوت الكالفيني ولاءً يقرب من التعصب![٣٠]

ومما يدل على تأثر الكنيسة المشيخية بالمذهب الكالفيني أن "جون نوكس" المنظّر الأول للتنظيم المشيخي كانت العقيدة الكالفينية مصدراً من مصادر قوته، وكان نوكس يصف مدينة جنيف في عهد (كالفن) بأنها أكمل مدرسة للمسيح ظهرت على وجه الأرض منذ أيام الحواريين![٣١] يقول (ول ديورانت): "واتفقت الكالفينية مع مزاجه لأن تلك العقيدة كانت واثقة من نفسها، وعلى ثقة من أنها تتلقى الوحي من الرب، وواثقة من أن الله قد فرض عليها أن تلزم الفرد بانتهاج سلوك محدد واعتناق عقيدة معينة، وواثقة من حقها في توجيه الدولة، ولقد تغلغل هذا كله في أعماق روح نوكس، ثم في التاريخ الإسكوتلندي عن طريقه. وتوقع في فزع حكم ماري ستيوارت الكاثوليكية لاسكوتلندا، فسأل كالفن وبولينجر هل يحق لشعب أن يرفض إطاعة حاكم يرغم الناس على عبادة الأوثان ويلغي الدين الصحيح؟ فلم يحيرا جواباً، ولكن جون نوكس كان يعرف ما يدور في خلده...

ومما يدل على عمق تأثر نوكس والكنيسة المشيخية بصفة عامة بالعقيدة الكالفينية، أنه في عام ١٥٥٩م أرسل نوكس إلى ملكة إنجلترا البروتستانتية رسالة بعنوان "عظة موجزة" ينصحها فيها بأن تكفر عما قامت به الملكة الكاثوليكية "ماري" من اضطهاد، وأن تجعل العقيدة الكالفينية، ونظامها الأخلاقي إجباريين في البلاد، لكن الملكة رفضت العمل بالنصيحة.[٣٢].

ويرى بعض الباحثين بأنه لا يمكن القول بالتطابق بين المشيخية والكالفينية، وإنما بينهما ارتباط وثيق، وقد حافظ كل منهما على وجود منفصل غير مستقر؛ ولم يزدهر كل منهما باستثناء الآخر...والمشيخية لها شكل خاص لحكومة الكنيسة من قبل الشيوخ، وأما الكالفينية فتشير إلى نوع معين من اللاهوت... [٣٣].

المبحث الثالث: مبادئ الكنيسة المشيخية (اللاهوت):

اتضح مما تقدم بأن الكنيسة المشيخية في اسكتلندا مشيخية في الهيكل إنجيلية في المعتقد؛ ونظامها المشيخي يعتمد على حكم الشيوخ، أو الكهنة، في تسلسل هرمي؛ أعلاها "الجمعية العامة" الذين يتم انتخابها من قبل أعضاء المصلين لفترات محددة؛ في نظام يهدف إلى تأكيد المساواة بين جميع المسيحيين...وهذا ما كان يعتقده "جون كالفن" بأن نظام حكومة الكنيسة مبني على الكتاب المقدس وتجربة الكنيسة، وأن جميع مجتمع الكنيسة متساوون تحت هذا النظام، ويجب أن تحكم الكنيسة وتديرها جمعيات من أصحاب المناصب والقساوسة والشيوخ المختارين لتقديم

تمثيل عادل للكنيسة...ثم قامت الكنائس الإصلاحية ومنها المشيخية بإجراء تعديلات على الهيكل الأساسي؛ لكنها لم تخرج عنه في الأساسيات.

وعادة ما توجد أربع فئات من حكومة الكنيسة؛ فهناك الجلسة، والشمامسة، والأمناء؛ وتتكون الجلسة من الشيوخ والقسس، وتهتم الجلسة بجميع الأمور الدينية أو الكنيسة فقط، وهي تشرف على دعوة وانتخاب القساوسة، وتستقبل الأعضاء وترفضهم، وتحدد ترتيب الخدمات، وتمارس الانضباط الكنسي، ويكون الراعي هو الوسيط على الشمامسة؛ وهؤلاء يهتمون بالفقراء وأي أمور زمنية تسند إليهم، ويتولى الأمناء تحت رئيسهم مسؤولية الممتلكات والالتزامات المالية والقانونية للمصلين، ويعين الشيوخ والشمامسة من قبل القس، والرسامة تكون مدى الحياة، ولكن ممارسة المنصب تكون لمدة سنوات، ويخدم الأمناء لشروط محددة، ويجوز للشعب أن ينتخب قسيساً خاصاً به، ولكن لا بد من موافقة الكاهن، ولا يجوز أن يطرد الراعي من قبل الناس أو أن يترك الناس دون موافقة الكاهن، ولدى الكاهن أيضاً سلطة دينية ومالية وقانونية على جميع الطوائف.

يتكون المجمع الكنسي من عدة كهنةٍ، وهو مجمع مفوض قد يرسل إليه عدد قليل من الممثلين من كل كاهن، وقد يكون مجمعاً ينتمي إليه جميع أعضاء الكنائس، ولها دور تنسيقي في مسائل برنامج الكنيسة بين الكهنة.

يجتمع (السنودس)[٣٤] مرة في السنة، ويُنتخب مديره سنوياً من الجمعية العامة.

و(الجمعية العامة) لها اجتماع سنوي للمفوضين والوزراء والشيوخ، ويتم انتخابهم من قبل جميع الكنائس؛ وليس من قبل المجامع الكنسية، وفقاً لإجمالي عضويتهم في الكنيسة، وتنتخب هذه الهيئة مسؤوليها والمشرف لمدة عام واحد...وتخضع الأعمال التبشيرية والخيرية والتعليمية لمجالس منتخبة من قبل الجمعية العامة، وتعمل الجمعية أيضاً كمحكمة استئناف نهائيةٍ في جميع القضايا التي تصل إليها من جلسات المصلين والكاهن والمجامع الكنسية.[٣٥]

ويرى S.L.Morris [٣٦] بأن هناك أشكالًا متعددة لحكومة الكنيسة؛ ولكن ثمة أشكال أساسية لها؛ وهي:

١ـ الأسقفية (Episcopal) وفي شكله الأكثر تطرفاً يطلق عليه في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية اسم: Prelatic وتعني: الأساقفة. وتتوافق في العالم السياسي مع الملكية؛ إنها قاعدة الرجل الواحد! فيكون للرئيس مرؤوسون تحت إدارته وسيطرته! ولا شك أن الأسقفية بهذا المعنى لا تتوافق مع حكومة الكنيسة المشيخية.

٢ـ تجمعي (Conregational) والصيغة التجمعية تعني أن كل كنيسة يحكمها التصويت الشعبي للمجموعة، ويُطلق عليه أحياناً: الاستقلال؛ لأن كل كنيسة هي بحد ذاتها قانون؛ وفي الوقت ذاته

غير مُلزمةٍ بأي قواعد تسنّ من قبل طائفتها؛ كما أن أصغر أعضاء الكنيسة وأكثرهم خبرةً متساوون في تحديد العقائد الحيوية أو السياسات البعيدة المدى، وقد تصوِّت كنيستان من مذهب واحد في مدينة واحدة على مسائل في الإيمان والممارسة على العكس من بعضها البعض.

وهذا الشكل عكس الأسقفية التي تكون قوتها الفردية للأسقف.

٣ــ المشيخي (Presbyterian) وهذا الشكل من الحكومة هو شكلٌ بين الأسقفي والتجمعي؛ إنها حكومة من قبل ممثلين ينتخبهم الشعب؛ ويُعرفون باسم: الشيوخ (Elders) في النسخة الإنجليزية، أو الكهنة (Presbyters) في النسخة اليونانية، ويُعرف هذا الشكل من الحكومة. في المفهوم السياسي .باسم الجمهورية.

وإذا ما نظرنا إلى عقائد الكنيسة المشيخية ومبادئها نجد تقارباً كبيراً بينها وبين العقائد الكلفينية، ولذا يصح أن نقول بأنها كالفينية في عقائدها، وإن لم تكن جزءاً منها إلا أنها مرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً، وفي عام ١٥٦٠م قبِل المجلس النيابي اعترافاً بالعقيدة التي أعدها نوكس ومعاونوه، ولا تزال ـ على حدّ قول ول ديورانت ـ[٣٧] العقيدة الرسمية لكنيسة اسكتلندا المشيخية، وكان جون نوكس يشدد على سيادة الله، بالإضافة إلى النقاط الخمس للكالفينية، والتي تعرف باختصارها (TULIP) وهي:

١ــ (T) الفساد الكلي (total depravity) أي: أن الإنسانية ملطخة بالخطيئة في الإرادة والعقل والجسد، وذلك يعني أن الناس لا يستطيعون اختيار الله بشكل مستقل! بل يجب أن يتدخل الله لإنقاذ الناس، والله هو الذي يختار أولئك الذين سيتم إنقاذهم لتقديسهم طوال حياتهم حتى يموتوا ويذهبون إلى الجنة . ويستشهد الكالفينيون بالكثير من آيات الكتاب المقدس التي تدعم الطبيعة البشرية الساقطة والخاطئة ، مثل مرقس ٧: ٢١-٢٣ ، رومية ٦: ٢٠ ، و ١ كورنثوس ٢: ١٤.

٢ـ (U) انتخاب غير مشروط (unconditional election) أي أن الله يختار من سيخلص. بلطفه وإرادته، وبما أن البعض يتم اختيارهم للخلاص، فالبعض الآخر ليس كذلك؛ وهم الذين لم يتم اختيارهم، فهم الملعونون وإلى الأبد في الجحيم.

٣ـ (L) التكفير المحدود (limited atonement) فالمسيح المخلص مات من أجل خطايا المنتخَبين فقط.

٤ــ (I) النعمة التي لا تقاوم (irresistible grace) الله يجلب منتخبه للخلاص من خلال إيحاء داخلي، وهم عاجزون عن مقاومة ذلك، يعطي الروح القدس نعمةً لهم حتى يتوبوا ويولدوا من جديد.

٥ــ (P) مثابرة القديسين (perseverance of the saints) فيرى كالفن أن المنتخب لا يمكن أن يفقد خلاصه. لأن الخلاص هو عمل الله. فالمثابرة من الله، وليس القديسين أنفسهم! وهذه العقيدة تتناقض مع لاهوت اللوثرية والكنيسة الكاثوليكية الرومانية، التي ترى أن الناس يمكن أن يخسروا خلاصهم.[٣٨] فالمحافظون المشيخية يتمسكون بالنقاط الخمس للكالفينية.

وقد تقدم أنه بعد إصدار "اعتراف الإيمان الاسكتلندي" انتهى الاعتراف بالحكم البابوي، ويعد أول اعتراف بالإيمان للكنيسة الإصلاحية (**Confessio Scoticana**) وهو مكتوب بشكل أساسي بواسطة "جون نوكس" واعتمده البرلمان الاسكتلندي عام ١٥٦٠م، وقد كان تصريحاً كالفينياً عن الإيمان، وشدد على الوجود الحقيقي للمسيح في القربان المقدس أكثر مما فعلت المذاهب الإصلاحية اللاحقة، ثم جاء اعتراف الاسكتلنديين الثاني؛ المسمى "اعتراف الملك" أو "العهد الوطني" وذلك عام ١٥٨١م، وكان مكملاً للاعتراف الأول، ووصف بأنه كان مضاداً للبابا بقوة؛ حيث تبناه الملك والمجلس والمحكمة وجميع الشعب الاسكتلندي، وجُعل جزءاً من العهد الوطني لعام ١٦٣٨م. ثم حلَّ "اعتراف وستمنستر" محل الاعتراف الاسكتلندي.[٣٩].

"اعتراف وستمنستر للإيمان" (The Westminster Confession of Faith)

ويسمى "اعتراف وستمنستر المشيخي"[٤٠] وهذا (الاعتراف) هو الوثيقة التي وضعتها جمعية وستمنستر للإلهيات عام ١٦٤٦م؛ وقد تم قبولها من قبل الجمعية العامة لكنيسة اسكتلندا في عام ١٦٤٧م، والبرلمان الاسكتلندي في عام ١٦٤٩م، فهي المعيار الرسمي للكنيسة المشيخية الحرة في اسكتلندا، وتلتزم الكنيسة بهذا الاعتراف بشكل ثابت، معتقدةً أنه كتابي بالكامل في كل ما يقوله.[٤١]

وقد تضمن هذا (الاعتراف) ثلاثةً وثلاثين فصلاً؛ وبعد اطلاعي عليه وجدت أنه طويل لا يمكن نقله في مثل هذا البحث؛ حيث جاء في (٤٧) صفحةً؛ كما أنه ليس هناك ما يدعو إلى نقله كاملاً؛ غير أنه لا بد من ذكر أبرز ما جاء فيه من معتقدات ومبادئ تُبرز مذهب الكنيسة المشيخية في العالم؛ متتبعاً قدر الإمكان ما يُركز عليه الباحثون في ذكرهم لمعتقدات الكنيسة المشيخية ومبادئها.

.الكتاب المقدس:

في أول فصلٍ من فصول هذا (الاعتراف) يذكر ما تضمّنه الكتاب المقدس "العهد القديم والجديد" من كتبٍ معتمدةٍ، ويستبعد ما يسمى بالكتب (الأبوكريفية) ويؤكد على اعتبار الكتاب المقدس كلمة الله وقاعدة الإيمان والحياة، وأنه هو السلطة النهائية للكنيسة في جميع النزاعات الدينية...وأن القاعدة المعصومة في تفسير الكتاب المقدس هي الكتاب المقدس نفسه...

.عقيدة التثليث:

يؤيد (الاعتراف) العقيدة التقليدية للثالوث: وحدة اللاهوت في ثلاثة أقانيم: الآب والابن وروح القدس المنبثق منهما.

.قضاء الله في الأزل:

في قضاء الله الأبدي حدد من سيكون مخلَصاً؛ أو من سيلاحق بسبب خطاياه، وأن بعض الناس قد عينهم للحياة الأبدية، وبعضهم للموت الأبدي...وأنه يجب التعامل مع عقيدة سرِّ الأقدار العالي هذا بحكمة وعناية...والفصل الرابع ذكر قصة الخلق وأن البشر خلقوا بأرواح خالدة، ولديهم شركة مع الله ويسيطرون على المخلوقات الأخرى...ويؤكد (الاعتراف) على أن الناس قد ارتكبوا الخطيئة الأصلية، وأصبحوا عرضة للفساد التام؛ فهم خطاة مذنبون أمام الله، مستحقون للغضب الإلهي، وأن هذا السقوط وجميع الخطايا الأخرى قد تم تحديدها مسبقاً عن طريق العناية الإلهية، وأن الله وعد آدم وذريته بالحياة بشرط الطاعة الكاملة، ولما كان من المستحيل على الإنسان أن يحافظ على هذا العهد؛ قطع الله عهداً آخر يسمى "عهد النعمة" فقدم الله للخطاة الحياة والخلاص بيسوع المسيح...وأنه هو الوسيط بين الله والإنسان، وموت المسيح يعتبر إرضاءً لعدالة الله وتحقيقاً لمصلحة البشرية...ويُمنح الخلاصُ للأفراد بواسطة كلمة الله والروح القدس الذي يقنعهم بالإيمان والطاعة.

.حرية الإرادة للإنسان:

ينص (الاعتراف) على أن إرادة الإنسان حرة؛ لكنه بسبب سقوطه فقد القدرة على فعل أي شيء يرضي الله؛ وأصبحت إرادته مستعبدة لطبيعته الخاطئة، ولو كان بعد اهتدائه يستعيد القدرة على إرضاء الله واختيار الخير إلا أن الخطيئة تبقى في داخله؛ ولا يبلغ الكمال إلا بعد الموت في حالة التمجيد...وتوضح الفصول من ١٠ إلى ١٨ مراحل وجوانب مختلفة من "الخلاص" وأن الله بـ "الروح القدس" و"الكرازة بالكلمة" يدعو المختارَين للخروج من حالة الخطيئة والموت نحو الإيمان بيسوع...وأن "عقيدة التبرير" لا تكون إلا بالإيمان وحده، وأن جميع المتبررين يشتركون في نعمة "التبني" ويصبحون أبناء الله، ويتم تقديس أولئك الذين يتم استدعاؤهم وتجديدهم في التقديس وبذا يكون القضاء على سيادة الخطيئة...وأن الإيمان الخلاصي عمل "الروح القدس" من خلال التبشير بالكلمة...وإلى جانب ذلك لا بد من التوبة؛ ولا يمكن العفو بدونها...

.مثابرة القديسين:

جاء في هذا (الاعتراف) عقيدة: "مثابرة القديسين" والتي تنص على أنه من المستحيل على المدعوّين الارتداد من حالة النعمة وفقدان خلاصهم...وأن المؤمنين يمكنهم الحصول على يقين

الإيمان، ويرتكز ذلك على وعود الخلاص...ويحذر (الاعتراف) من استخدام الحرية المسيحية لتبرير سلوك خاطئ أو لمقاومة العلمانية والسلطة الكنسية القانونية.

. الكنيسة:

ويصف (الاعتراف) دور السلطات المدنية فيما يتعلق بالكنيسة؛ وأن القاضي المدني ليس له الحق في التدخل في الوعظ أو إدارة الأسرار المقدسة؛ بل هذا حصر على السلطات الكنسية؛ لكن على القاضي المدني منع الفساد داخل الكنيسة، ويتمتع القاضي بسلطة عقد المجامع الكنسية...وينفي (الاعتراف) أي اختصاص قضائي للبابا في القضاء المدني، أو سلطة حرمان القضاة من مناصبهم إذا قرر أنهم زنادقة.

وتطرق (الاعتراف) إلى علم الكنيسة المصلَح أو تعاليم الكنيسة المسيحية، وأن الكنيسة جامعة، وتتكون الكنيسة غير المنظورة من جميع المختارين، والمسيح هو رأس الكنيسة، وأن الكنيسة المنظورة تشمل جميع الناس المؤمنين، وهي مملكة المسيح وبيت الله، ولا خلاص خارج الكنيسة المنظورة، وأن الكنائس المحلية يمكن أن تكون نقيةً إلى حد ما بقدر التزامها بتصحيح العقيدة والعبادة، وأن أنقى الكنائس قد تحتوي على بعض الأخطاء اللاهوتية، في حين أن الكنائس الأخرى أصبحت فاسدة لدرجة أنه لم يعد من الممكن أن تُدعى كنائس المسيح بل هي كنائس الشيطان، وأن البابا هو ضد المسيح، ويقدم (الاعتراف) تعليماً مصلَحاً عن شركة القديسين، وهذا هو الاتحاد الروحي الذي يجمع المسيحيين مع المسيح، ويسمح بالمشاركة في نعمة المسيح آلامه وموته وقيامته ومجده.

و"ضباط الكنيسة" يصفهم هذا (الاعتراف) بأنهم معينون من قبل المسيح ليحكموا الكنيسة، وهم الذين لهم حق تأديب أعضاء الكنيسة من خلال التحذير والإيقاف عن عشاء الرب والحرمان، وفقاً لخطورة المخالفة، وتوجيههم إلى التوبة...وأن "المجامع الكنسية" و "المجالس الكنسية" لها سلطة تسوية الخلافات الدينية، ووضع قواعد للكنيسة والعبادة العامة، والحكم في قضايا سوء السلوك في الكنيسة، ولا يجوز لها التدخل في الشؤون المدنية، وللسلطات المدنية استدعاء المجامع الكنسية.

. الزواج والطلاق:

لا يشجع (الاعتراف) على الزواج بين الأديان الأخرى، أو حتى مع الكاثوليك أو المشركين الآخرين، ويمنع (الاعتراف) من زواج المحارم، وأن السبب الوحيد للطلاق هو الزنا، وتخلي الزوج عن عمد.

. الأسرار المقدسة:

نص (الاعتراف) على أن تلك الأسرار قد أسسها الله؛ وعلى أنها أعلام وأختام لعهد النعمة لتمثيل المسيح، وللتمييز بين أعضاء الكنيسة وبقية العالم، وأن في كل سرٍ منها علاقة روحية بين العلامة وما يُدلى به، وتعتمد فعالية القربان على عمل "الروح القدس" وكلمات المؤسسة، وأن الأسرار لا يوجد منها سوى اثنين هما: المعمودية، والعشاء الرباني.

فأما لاهوت المعمودية المصلَح؛ فيعتمد على ضم الشخص إلى الكنيسة المنظورة، ويدل على اتحاد الشخص بالمسيح، والتجديد، ومغفرة الخطيئة، وجدة الحياة، ويجب أن يعتمد الأفراد في الماء باستخدام صيغة الثالوث، وأن المعمودية بالتغطيس ليست ضرورية، ويوافق الاعتراف على معمودية الأطفال إذا كان أحد الوالدين أو كلاهما مسيحياً، وأن إهمال المعمودية هو خطيئة عظيمة، ولا يؤيد الاعتراف تجديد المعمودية، وأنها يمكن تتجدد بدون معمودية، ويجب قبول المعمودية مرة واحدة فقط.

وأما "العشاء الرباني" فينص (الاعتراف) على أن القربان يجب أن يحفظ في الكنيسة حتى نهاية العالم، للتذكير الدائم بتقديم المسيح لنفسه، وانخراطهم في جميع الواجبات الدينية للمسيح، وتعهداً بشركتهم معه، وليس "العشاء الرباني" ذبيحة فعلية للمسيح؛ بل هو تذكير بذبيحة المسيح لمغفرة الخطايا، وهو يُدين صراحةً تعاليم الكنيسة الكاثوليكية الرومانية عن "تضحية القداس البابوية"! كما يرفض عقيدة الكاثوليك من "الاستحالة" والتي تنص على أنه بعد التكريس من قبل الكاهن بالخبز والخمر أصبحت ــ بأعجوبة ــ من جسم ودم المسيح! وليس الأمر كذلك؛ بل إن المؤمنين يحصلون على جسد المسيح ودمه وكل فوائد موته روحياً بالإيمان، ويظل الخبز والخمر دون تغيير جسدياً.

.ما بعد الموت:

ويصف (الاعتراف) ما يحدث بعد الموت؛ بأن الجسد يتحلل وتعود الروح إلى الله، وتمضي أرواح الأبرار إلى القداسة، وتنتظر فداء أجسادها، بينما تُرسل أرواح الأشرار إلى الجحيم حتى الدينونة، ويرفض الاعتراف فكرة "المطهر" لأنها لا توجد في الكتاب المقدس، وعندما تأتي "الدينونة الأخيرة" يُمنح فيها المسيح السلطة ليحكم على جميع الملائكة المرتدين، وكل من عاش على الأرض، ويحاسبون، ويظهر من هذه الدينونة مجد الله ورحمته بخلاص المختارين، وتظهر عدالته بإدانة الفاسقين، ويحصل الأبرار على الحياة الأبدية، ويلقى الأشرار العذاب الأبدي، ووقت القيامة غير معروف.

هذا ملخصُ ما جاء في "اعتراف وستمنستر للإيمان" وقد أُعتمد كمعيار عقائدي من قبل الكنائس المشيخية حول العالم، وقد ترفض بعض الكنائس شيئاً مما ورد فيه أو تُغيّر بعض بنوده

على مر السّـنين، بل إن الكنيسـة المشـيخية في اسـكتلندا نأتْ بنفسـها من أربعة أقسـام من هذا الاعتراف؛ وهي: ما يتعلق بالنذور الرهبانية، والزواج من الكاثوليك ومن غير المسـيحيين، وجعل البابا المسيح الدجال، والقداس! وكذلك تمنح الكنيسة حرية الرأي في الأمور التي لا تدخل في جوهر الإيمان.

ويلخص S.L.Morris [٤٢] المبادئ الأربعة التي تشكل جوهر النظام المشيخي؛ وهي:

١. كلمة الله باعتبارها القاعدة الوحيدة للإيمان والممارسة.

٢. اللاهوت الكالفيني الذي يتضمن السيادة الإلهية والوكالة الحرة للإنسان.

٣. الشكل الكتابي للشيوخ.

٤ـ الطابع الروحي للكنيسة؛ الذي ينبني على المبدأ الذي أعلنه المسيح: دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فهناك مجالين للسلطة لكل منهما اختصاص منفصل أحدهما حكومة بشرية تحت حكم ملك أو رئيس، والآخر حكومة الكنيسة وهي مملكة روحية، فالكنيسة المشيخية تجسد دستورها بأنه يحظر على المجامع والمجالس ألا تتعامل إلا مع ما هو كنسي، ولا تتدخل في الشؤون المدنية، وهذا يعتبر من مبادئ الكنيسة المشيخية.

المبحث الرابع: ارتباط الكنائس المشيخية بالكنائس الأخرى:

من المعروف تاريخياً أنه في القرنين السادس عشر والسابع عشر وبداية القرن الثامن عشر وقعت في أوربا سلسلة من الحروب تعرف بـ "الحروب الدينية" أو "حروب الإصلاح والإصلاح المضاد"! وأثرت تلك الحروب ـ التي لم يكن الدين هو السبب الوحيد لاندلاعها ـ على النظام الديني والسياسي في البلدان الكاثوليكية، وظهرت الثورات والطموحات الإقليمية، وصراعات القوى العظمى، واشتدت الحروب بعد أن أعلنت الكنيسة الكاثوليكية الإصلاح المضاد عام ١٥٤٥م ضد نمو البروتستانتية، ووقع ما يعرف بـــ "حرب الثلاثين عاماً" (١٦١٨-١٦٤٨م) ووضع بعد ذلك "صلح وستفاليا" عام ١٦٤٨م حداً لتلك الحروب، بعد الاعتراف بثلاثة تقاليد مسيحية منفصلة عن الإمبراطورية الرومانية وهي: الرومانية الكاثوليكية، واللوثرية، والكالفينية، مع أن الحروب استمرت حتى عام ١٧١٠م، ووقع الانقسام داخل المسيحية الغربية بين الكنيسة الكاثوليكية الرومانية واللوثرية، وبدأت المقاومة البروتستانتية للقوة البابوية، ولعل الحروب الدينية في تلك الفترة قد قامت بشكل أساسي من أجل الأمن الطائفي، والمكاسب السياسية.

والكنيسة المشيخية ما هي إلا لون من ألوان الكنائس البروتستانتية الإصلاحية التي هي إحدى الانقسامات الرئيسية في العالم المسيحي بجانب الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية، ومن المعلوم أن من أبرز مقومات الفكر البروتستانتي اللاهوتي هو: احتجاجه ورفضه السلطة التعليمية

في الكنيســـة الكاثوليكية التي ترتبط بالبابا، إلى جانب المبادئ العقدية الأخرى التي فارقت فيها الكنائسُ البروتســـتانتيةُ غيرها من الكنائس المســيحية، وهذا بلا ريب أثّر تأثيراً بالغاً في العلاقة بين الكنائس؛ حتى وقعت بين أتباعها كثير من الصـــراعات والمعارك العنيفة، والتي تبناها في كثير من الأحوال الســـلطات الحاكمة، والملوك على اختلاف توجهاتهم، وأدى الانقســـام الكنســـي في العالم المســـيحي إلى كثير من الثورات في نواحٍ كثيرةٍ من القارة الأوربية إبان عصـــر النهضـــة؛ ولم يكن الانقســـام للعالم المســـيحي مقتصـــراً على الطوائف الثلاث الكبرى (الكاثوليكية، الأرثوذكســـية، البروتستانتية) بل إن هناك انقسامات عديدة في كل طائفة منها.

وفي نظرة سريعة إلى البروتستانتية ــ باعتبار المشيخية محل البحث أحد فروعها ــ فإننا سنجد أنها منذ ظهورها في القرن الســـادس عشـــر قد آلت إلى عددٍ من التيارات والمذاهب؛ فهناك تيار اللوثرية التقليدية والحديثة، والتيار الكالفيني والذي تتبناه (الكنائس الكالفينية) و(الكنائس المشـــيخية) و(الأبرشـــية) التي خالفت كنيســـة إنجلترا في بعض الطقوس، وخالفت فكرة الكنيســـة القومية، ورغبت في المزيد من الإصـــلاح الجذري...و(الكنائس المعمدانية) التي ظهرت متأثرة بحركة تجديد المعمودية (الأنابابتســـت) والتي أُضـــطهدت من قبل الســـلطات البريطانية حتى عام ١٦٨٩م، و(الإنجيليكانية) أو الأســـقفية التي تأســـســـت حينما اعتلى هنري الثامن العرش، وكان على رأس الكنيســـة عام ١٥٣٤م وأعلن اســـتقلاله عن البابا في روما، مع بقائه على المذهب الكاثوليكي! وهو الذي أمر بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية، ونتج عن ذلك صـــراع طويل وســـفك للدماء، وظهرت (الكنائس الميثودية الأولية والمتحدة) في بريطانيا إبان القرن الثامن عشـــر؛ وهي تقول بإمكانية الخلاص للإنســـان؛ مخالفةً عقيدة الاختيار المســـبق للكالفينية؛ وهي تنســـب نفســـها إلى الصحوة الإنجيلية، وكذلك (الأدفنتست) أو (الســـبتيون) وكان ظهورهم متأخراً في الولايات المتحدة في منتصف القرن التاسع عشر، ومثلها (الكنائس الخمسينية).

وكل هذه التيارات والمذاهب تعتبر حركات إصلاحية محافظة ظهرت منذ القرن السادس عشر الميلادي، وفي تلك الحركات جماعات انشقت عن الكنيسة الكاثوليكية، إلا أنها بقيت على عدد من العقائد لتلك الكنيســـة، وكان من أبرز تلك التيارات (اللوثرية) والتي تعد أكبر الحركات البروتستانتية وأكثرها انتشاراً، ومع اتفاقها على الإيمان بسلطة الكتاب المقدس إلا أن ثمة اختلافاً كبيراً بين أتباعها في شكل الطقوس وحكومة الكنيسة، مما أدى إلى نشأة طوائف عديدة، ومن ذلك (التنظيم المشيخي) والتي تبنته الكنيسة المشيخية، ونادت بإصلاحات أكثر مما نادى به لوثر.

وهناك الحركات الإصلاحية الراديكالية؛ المؤيدة للإصـــلاح الديمقراطي؛ والتي لم تقتصـــر على مخالفة الكنيســـة الكاثوليكية بل خالفت الكنائس البروتســـتانتية الكبرى، ويرى دعاتها أنه يجب

القيام بمزيد من الإصلاحات في الكنيسة، وكان من بين تلك الحركات التي توصف بأنها متطرفة حركة تجديد العماد (الكويكرز) (Quakers) أو جمعية الأصدقاء وهي مجموعة مسيحية نشأت في إنجلترا في منتصف القرن السابع عشر، ووقع بسبب ذلك صراع طويل بينها وبين الكنائس البروتستانتية المحافظة.

وظهرت طوائف من كنائس تعرف بـ (الأبرشانية) و(المعمدانية) ـ جماعة جون سميث الإنجليزي الذي دعا إلى تعميد الكبار فقط ممن يستطيعون التعبير عن معتقداتهم ـ والذين انفصلوا حتى عن الكنيسة الأنجليكانية؛ وعرفوا بـ الانفصاليين أو الأبرشانيين المستقلين، وكانوا يرون وجوب استقلال كل جماعة محلية في إدارة كنيستها، وكذلك ظهرت حركات مشابهة مخالفة في بعض مبادئها للكنيسة الأنجليكانية.

وهذه الكالفينية ذات العلاقة الوطيدة بالمشيخية لم يكن معترفاً بها حتى منتصف القرن السابع عشر، ولذا مارس أتباعها معتقداتهم بسرية تامة، بسبب الاضطهاد من الإصلاح المضاد في الأراضي الكاثوليكية من القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر، وكما يتوارى جماعات من البروتستانت بمعتقداتهم في الأراضي الكاثوليكية، كذلك يُخفي عدد من الكاثوليك ممارساتهم في الأراضي البروتستانتية!.

ولم تكن الكنائس المشيخية في العالم بمنأى عن ذلك الصراع فقد لقيت بسبب تمردها على الكنيسة الكاثوليكية ألوانَ الاضطهاد؛ وقد مرّ بنا ما قامت به الملكة (ماري تيودور) من حملات الاضطهاد للبروتستانت، ولمؤسس الكنيسة المشيخية بصفة خاصة (جون نوكس).

وقد "تفردت حركة الإصلاح الديني الأسكتلندي بين حركات الإصلاح الديني جميعاً بأنه لم يسفك فيها إلا أقل قدر من الدماء، وكانت مع ذلك أبقاها، وقاسى الكثالكة في صمت، وهرب أساقفتهم وقبل معظم قساوسة الأبرشيات التغيير باعتباره ليس أسوأ من ظلم الأساقفة وزياراتهم التفتيشية"(٤٣).

ويظهر من هذا العرض السريع بأن الكنائس البروتستانتية ـ مع اتفاقها على كثير من المعتقدات والمبادئ ـ وقع بينها صراع عقدي، أدى إلى مواجهات عديدة منذ القرن السادس عشر؛ ولهذا فلا ريب بأن الخلاف العقدي مع الكنائس غير البروتستانتية أشد وأنكى، وأن الصراعات الفكرية والحركية بينها في اطراد.

وكانت اسكتلندا البلد الذي ظهرت فيه الكنيسة المشيخية في صراع شديد مع إنجلترا ردحاً من الزمن؛ ويصف (ول ديورانت) اسكتلندا وموقفها من إنجلترا بما يعكس واقع الصراع بين المملكتين قبل الاتحاد فيقول: "أما اسكتلندا فكانت شوكةً في جنب إنجلترا، وتحالف الفرنسيون مراراً معها

في حروب مع إنجلترا"[٤٤] ويقول: "لقد ظلت فرنسا عدواً لها مئات السنين، وما أكثر ما أثارت فرنسا أو موّلت الأعمال العدائية التي قامت بها اسكتلندا ضد إنجلترا"[٤٥] ويصف الاسكتلنديين فيقول: "الأمة الاسكتلندية: وهي أمة إنجليزية في لغتها، مسيحية في دينها، نارية في مزاجها كالأيرلنديين، عملية كالإنجليز، ماكرة، قوية الخيال"[٤٦]. وهذا بدوره أثَّر في العلاقة بين الكنائس المشيخية وغيرها حتى مع أقرب الكنائس لها مكاناً.

ومع وجود الخلافات الكبيرة بين تلك الكنائس إلا أنه بجانب ذلك الخلاف الفكري المعقّد ظهرت حركات تدعو إلى الوحدة، ففي القرن التاسع عشر والقرن العشرين، نادى عدد من المسيحيين إلى رغبتهم في تجاوز الخلافات، وتوحيد الطوائف البروتستانتية، بل والاتحاد بينها وبين الأرثوذكس والكاثوليك، وأنشئ لذلك جمعيات خاصة لهذا الاتجاه، حتى إنه في القرن الماضي ظهر ما يسمى بـ (الحركة المسكونية) والتي تعني: الدعوة إلى توحيد الكنائس، وتهدف إلى التعاون المسيحي، وفي عام ١٩٤٨م تكوّن (مجلس الكنائس العالمي) والذي يعمل على الدعوة إلى الوحدة بين جميع الكنائس في العالم.

هذا وفي اسكتلندا طوائف بروتستانتية أخرى منها: (الكنيسة المعمدانية) و(الكنيسة الأسقفية الاسكتلندية) و(الأنجليكانية) و(الكويكرز) وللكنائس الإنجيلية والخمسينية وجود ملحوظ، وتعد مدينة إدنبرة هي المقر للجمعية العامة لكنيسة اسكتلندا، كما أن للكنيسة الرومانية الكاثوليكية وجود أيضاً.

ويرى المؤرخ مورس[٤٧] بأن الكنيسة المشيخية تنظر إلى المسيحيين الآخرين بأنهم إخوة، ولا تُعيد تعميد أولئك الذين اعتمدوا بأنماطٍ أخرى، وأن الكنيسة المشيخية تشترك في نظامها الكالفيني مع القوى المعمدانية في العالم، وأن اللوثري هو مشيخي في شكل حكومةٍ، مثل المشيخي في كل شيء ما عدا الاسم، وأن المعمدانيين أقرب إلى الكنيسة المشيخية من غيرهم، ويقول ـ أيضاً ـ بأن اسكتلندا تُدين بشخصيتها القومية إلى الكنيسة المشيخية من أجل الروحانية العميقة!.

وبحسب (ول ديورانت) لا تزال العقيدة الرسمية لكنيسة اسكتلندا هي المشيخية.[٤٨] و"تعتبر كنيسة اسكتلندا أكبر طائفة مسيحية في اسكتلندا وهي الكنيسة الوطنية هناك، وغالبا ما ينظر إليها على أنها الكنيسة الأم للكنيسة المشيخية الناطقة باللغة الإنجليزية، وبالتالي كان لها تأثير كبير خارج حدود اسكتلندا؛ خاصة تلك الأماكن التي تُعزى فيها المبادرة التأسيسية إلى البعثات الاسكتلندية خلال الحقبة الاستعمارية البريطانية..." [٤٩]

وتوجد للمشيخية كنائس في كل من: البرازيل، وكندا، والكاميرون، والهند، وباكستان، وراوندا، ونيوزيلندا، وأستراليا، وكلومبيا، وجنوب أفريقيا، وإنجلترا، وكوريا الجنوبية، وليبيريا، وموزمبيق،

ونيجيريا، والسودان، والولايات المتحدة، وكوبا، وأثيوبيا. (المصدر السابق) وبالتالي فالمذهب المشيخي أو النظام المشيخي قد انتشر في كثير من بلدان العالم، مما يعني أن الكنيسة المشيخية في اسكتلندا لها علاقات وطيدة مع تلك البلاد، ولها أتباع يبشرون بتعاليمها ومبادئها.

ويطلق على المنتسبين للكنيسة المشيخية على ــ حد قول S.L.Morris ــ في أوربا ألقاباً مختلفةً: ففي ألمانيا يُطلق عليهم: لوثريون مصلحون (Reformed Lutherans) وفي فرنسا: هوغونوت (Huguenot)[٥٠] وفي إنجلترا: المتشددون (Puritans) وفي اسكتلندا: كفاننتر (Covenanters) أي المعاهدون أو المتمسكون بالعهد؛ وقد أطلق هذا اللقب منذ عام ١٦٣٨م.

ويؤكد موريس بأن البروتستانتية الأمريكية قد أصبحت مشيخيةً من حيث جوهرها!.[٥١] كما يذكر جيمس سميلي بأن دستور الكنيسة المشيخية يحمل تشابهاً وثيقاً مع التركيبة السياسية في أمريكا؛ نظراً لأن مؤسسي الجمهورية الأمريكية ومؤلفي دستورها كانوا إلى حد كبير من المشيخيين، وأن واضعي دستور الولايات المتحدة استعاروا الكثير من شكل الكنيسة المشيخية في أسكتلندا!! وينقل عن Ranke ــ أحد أعظم المؤرخين ــ قوله: "كان جون كالفن مؤسس أمريكا الافتراضي" لأنها جمهوريةٌ تجسد مبادئ كالفن. وأن D. Aubigne ــ الذي كتب تاريخ الإصلاح ــ قال: "كان كالفن مؤسس أعظم الجمهوريات، الأمة الأمريكية تتباهى بأن والدها هو المصلح المتواضع على ضفاف بحيرة ليمان" يقصد البحيرة التي على جانبها مدينة كالفن (جنيف).[٥٢].

الخاتمة:

أسجل في ختام هذا البحث بعض النتائج التي توصلت إليها؛ وهي:

ــ أن الكنيسة المشيخية (Presbyterianism) هي: إحدى أكبر النظم البروتستانتية، وتنتظم كنائس نصرانية عديدة في العالم ترجع في أصولها إلى كنيسة اسكتلندا.

.أن اسكتلندا تعتبر هي الموطن الأول للكنيسة المشيخية، وفيها نشأت، ومنها انتشرت في بريطانيا ومواطن عديدة من العالم اليوم.

ــ يعتقد أتباع الكنيسة المشيخية بأن كلمة: المشيخية (Presbyterian) مأخوذة من الكتاب المقدس؛ وبالتحديد من الكلمة اليونانية (elder) يعني: شيخ؛ أو مسنّ، وحينئذٍ فالكنائس المشيخية تأخذ اسمها من الطريقة التي تحكم الكنيسة؛ حيث يجب أن يحكمها الشيوخ أو الكهنة.

ــ يعتبر "جون نوكس" (John Knox) (ت ١٥٧٢م) هو المؤسس الحقيقي للكنيسة المشيخية في اسكتلندا، وقد التقى بجون كالفن أحد أبرز دعاة الإصلاح اللاهوتي في جنيف، وأظهر مديونيته له، وكان نوكس ثائراً ضد الكنيسة الكاثوليكية، ثم جاء من بعده أندرو ميلفيل وآخرون.

ــ منذ عام ١٦٩٠م تبنت كنيسةُ اسكتلندا النظامَ المشيخي، وأصبحت تتمتع باستقلال عن الدولة، وأصبحت الكنيسة المشيخية هي الكنيسة الوطنية للشعب الاسكتلندي؛ وهي تشكل أكبر طائفة مسيحية في البلاد.

ــ بالنظر إلى عقائد الكنيسة المشيخية ومبادئها نجد تقارباً كبيراً بينها وبين المذهب الكالفيني الذي أسسه جون كالفن (ت١٥٦٤م) ولذا يصح أن نقول بأنها كالفينية في عقائدها، وإن لم تكن جزءاً منها إلا أنها مرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً، وفي عام ١٥٦٠م قبِل المجلس النيابي اعترافاً بالعقيدة التي أعدها نوكس ومعاونوه، ولا تزال العقيدة الرسمية لكنيسة اسكتلندا المشيخية، وكان جون نوكس يشدد على سيادة الله، بالإضافة إلى النقاط الخمس للكالفينية، والتي تعرف باختصارها (TULIP):

١ــ (T) الفساد الكلي (total depravity) أي: أن الإنسانية ملطخة بالخطيئة في الإرادة والعقل والجسد.

٢.(U) انتخاب غير مشروط (unconditional election) أي أن الله يختار من سيخلص.

٣ـ (L) التكفير المحدود (limited atonement) فالمسيح المخلص مات من أجل خطايا المنتخَبين فقط.

٤-(I) النعمة التي لا تقاوم (irresistible grace) الله يجلب منتخبه للخلاص من خلال إيحاء داخلي، وهم عاجزون عن مقاومة ذلك، يعطي الروح القدس نعمةً لهم حتى يتوبوا ويولدوا من جديد.

٥ــ (P) مثابرة القديسين (perseverance of the saints) فيرى كالفن أن المنتخب لا يمكن أن يفقد خلاصه. لأن الخلاص هو عمل الله.

ــ أن نظام الكنيسة المشيخية في اسكتلندا وغيرها من الكنائس المشيخية في العالم يعتمد على حكم الشيوخ أو الكهنة، في تسلسل هرمي؛ أعلاها "الجمعية العامة" التي يتم انتخابها من قبل أعضاء المصلين لفترات محددة.

.يعتبر (اعتراف وستمنستر للإيمان) (The Westminster Confession of Faith) المعيار الرسمي للكنيسة المشيخية الحرة في اسكتلندا، ولذلك يسمى: اعتراف وستمنستر المشيخي، وهذا الاعتراف هو الوثيقة التي وضعتها جمعية وستمنستر للإلهيات عام ١٦٤٦م؛ وتم قبولها من قبل الجمعية العامة لكنيسة اسكتلندا في عام ١٦٤٧م، والبرلمان الاسكتلندي في عام ١٦٤٩م، وتلتزم الكنيسة بهذا الاعتراف بشكل ثابت، معتقدةً أنه كتابي بالكامل في كل ما يقوله.

.ويمكن تلخيص ما جاء في ذلك الاعتراف ا لمكون من ٤٧ صفحةً؛ بما يلي:

أ/ يؤكد على اعتبار الكتاب المقدس كلمة الله وقاعدة الإيمان والحياة، وأنه هو السلطة النهائية للكنيسة في جميع النزاعات الدينية.

ب/ يؤيد العقيدة التقليدية للثالوث، وأنه في قضاء الله الأبدي حدد من سيكون مخلَصاً.

ج/ ينص الاعتراف على أن إرادة الإنسان حرة؛ لكنه بسبب سقوطه فقد القدرة على فعل أي شيء يرضي الله؛ وأصبحت إرادته مستعبدة لطبيعته الخاطئة، ولو كان بعد اهتدائه يستعيد القدرة على إرضاء الله واختيار الخير إلا أن الخطيئة تبقى في داخله؛ ولا يبلغ الكمال إلا بعد الموت في حالة التمجيد.

د/ ورد في هذا الاعتراف عقيدة: (مثابرة القدّيسين) والتي تنص على أنه من المستحيل على المدعوّين الارتداد من حالة النعمة وفقدان خلاصهم.

هـ/ نص الاعتراف على أن الأسرار المقدسة قد أسسها الله؛ وأنها أعلام وأختام لعهد النعمة لتمثيل المسيح، وللتمييز بين أعضاء الكنيسة وبقية العالم، وأن في كل سرٍّ منها علاقة روحية بين العلامة وما يُدلى به، وتعتمد فعالية القربان على عمل "الروح القدس" وكلمات المؤسسة، وأن الأسرار لا يوجد منها سوى اثنين هما: المعمودية، والعشاء الرباني.

و/ يصف الاعتراف ما يحدث بعد الموت؛ بأن الجسد يتحلل وتعود الروح إلى الله، وتمضي أرواح الأبرار إلى القداسة، وتنتظر فداء أجسادها، بينما تُرسل أرواح الأشرار إلى الجحيم حتى الدينونة، ويرفض الاعتراف فكرة (المطهر).

ــ تبين أن الكنيسة المشيخية في اسكتلندا؛ لم تكن بمنأى من الصراع الدائر بين الإصلاحيين بشكل عام وبين الكنيسة الكاثوليكية في روما، وذلك منذ نشأة المشيخية في القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر، فكما يتوارى جماعات البروتستانت بمعتقداتهم في الأراضي الكاثوليكية، كذلك يُخفي عدد من الكاثوليك ممارساتهم في الأراضي البروتستانتية.

ـ أنه بالرغم من وجود الخلافات العقدية بين الكنائس النصرانية بشكل عام؛ إلا أنه قد ظهرت حركات تدعو إلى الوحدة، ففي القرن التاسع عشر والقرن العشرين، نادى عدد من المسيحيين إلى رغبتهم في تجاوز الخلافات، وتوحيد الطوائف البروتستانتية، بل والاتحاد بينها وبين الأرثوذكس والكاثوليك، وظهرت (الحركة المسكونية) وفي عام ١٩٤٨ تكون (مجلس الكنائس العالمي) والذي عمل على الدعوة إلى وحدة الكنائس في العالم.

هوامش البحث:

(١) يعتبر الإصلاح البروتستانتي ثورة لاهوتية في أوربا ضد الانتهاكات والسيطرة الشمولية للكنيسة الكاثوليكية، وكان من أبرز المصلحين: مارتن لوثر في ألمانيا، وأولريش زوينجلي في سويسرا، وجون كالفن في فرنسا، وهكذا احتجوا على

ممارسات الكنيسة الكاثوليكية التي قالوا بأنها غير كتابية، وطالبوا بالعودة إلى العقيدة الكتابية السليمة، وكان مرجع الإصلاح الأول هو (الأطروحات الخمسة والتسعين) لمارتن لوثر التي نشرت على باب الكنيسة في فيتنبرغ في ألمانيا عام ١٥١٧م، وكان أحد القضايا الأساسية للخلاف بين الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية هو أن الكاثوليك يجعلون تعاليم الكنيسة وتقاليدها مساوٍ للكتاب المقدس، وهذا ما أدى إلى الانقسام وقيام الإصلاح البروتستانتي... انظر: Hans J, The Protestant Reformatio, pp(45-67)

(٢) يعتبر مارتن لوثر أب الإصلاح البروتستانتي، كان من أصل ألماني، ولد في إيسلبن عام ١٤٨٣م، والتحق بجامعة إرفورت، وحصل على الماجستير. وفي يوم ما تعرض لعاصفة كاد أن يهلك بسببها لكنه نجا منها، وكان ذلك سبباً في توجهه الديني، وفي عام ١٥٠٥م انتقل إلى دير أوغسطين...وفي عام ١٥١٠م حصل على درجة الدكتوراه، ثم أصبح أستاذاً للدراسات الكتابية، وبدأ بالانزعاج من فساد رجال الدين والبابا في روما، وبالتحديد بدأ بالتشكيك في بيع الانغماس وصكوك الغفران، ثم نشر أطروحاته الخمسة والتسعون، وفي عام ١٥١٨م بدأ في مواجهات مع رجال الدين الكاثوليك، حتى إنه في عام ١٥٢٠م أصدر البابا ليو العاشر مرسوماً يصف أفكار لوثر بالهرطقة، وتم طرده من الكنيسة الكاثوليكية، وأمر الامبراطور الروماني بحرق كتبه، ثم اختبأ لوثر في ألمانيا وعمل على ترجمة العهد الجديد إلى الألمانية، وصدرت الترجمة كاملة عام ١٥٣٤م، وأصبح الإصلاح الذي دعا إليه سياسياً لاهوتياً، تزوج من راهبة وأنجب ستة أطفال، وألف عدداً من الكتب والترانيم، وكان عنيداً لاذعاً في نقاشه، ولقي المصلح السويسري زوينجلي عام ١٥٢٩م وكان على خلاف معه، كان مارتن لوثر شخصية مؤثرة في الكنيسة البروتستانتية واللوثرية ولا يزال، توفي سنة ١٥٤٦م. مختصر من الموقع الرسمي للموسوعة البريطانية على الإنترنت: britannica.com ، وانظر: القس/جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، (٤/٩٠-١٦٨) أندرو مِلر، مختصر تاريخ الكنيسة، (ص٤٢٥ وما بعدها).

(٣) سيأتي الحديث عن جون كالفن في المبحث الثاني.

(٤) ينظر كتاب: Samuel Leslie, Presbyterianism; Its Principles and Practice,: pp:(10-11)

(٥) كانت مملكة اسكتلندا ذات سيادة في شمال غرب أوروبا، يُذكر أنها تأسست عام ٨٤٣م، وتوسعت أقاليمها، وأصبحت تحتل الثلث الشمالي من جزيرة بريطانيا العظمى، وتشترك في حدود برية باتجاه الجنوب مع مملكة إنجلترا، وتعرضت مملكة اسكتلندا لغزوات عديدة من الإنجليز، لكنها استقرت في منتصف القرن الخامس الهجري، وفي عام ١٦٠٣م أصبح ملك اسكتلندا جيمس السادس ملكاً على إنجلترا، ودمج اسكتلندا وإنجلترا في اتحاد شخصي، وفي عام ١٧٠٧م اتحدت المملكتان لتشكلا مملكة بريطانيا العظمى، ولدراسة تاريخها أهمية بالغة للباحثين في الديانة المسيحية؛ ينظر: William E. Burns, A Brief History Of Great Britain,pp

(٦) تحتل الأجزاء الوسطى والجنوبية من جزيرة بريطانيا العظمى، وتشترك في الحدود البرية مع اسكتلندا في الشمال وويلز في الغرب، وتحدها البحار من الشمال الغربي والجنوب الغربي والشرق، وأصبحت دولة موحدة سنة ٩٢٧م، وعاصمتها لندن، والذي يهمنا هنا هو أن إنجلترا كانت متاخمةً لاسكتلندا وكان بين الدولتين حروب ضارية عبر التاريخ إلى أن تمّ توقيع الاتحاد عام ١٧٠٧م؛ باسم مملكة بريطانيا العظمى، وقبل الاتحاد كان يحكم إنجلترا نظام ملكي خاص وبرلمان مستقل، وكان لمملكتي اسكتلندا وانجلترا . قبل الاتحاد . دور كبير في التأثر والتأثير على الكنائس المسيحية.

(٧) هي ابنة الملك (هنري الثامن) الذي انفصل عن الكنيسة الكاثوليكية في روما، وأنشأ الكنيسة الإنجليزية ونصّب نفسه رئيساً لها! وقد تولت ماري عرش إنجلترا (١٥٥٣-١٥٥٨م) وفرضت سيطرتها بالقوة؛ حتى أصبحت تسمى (ماري

الدموية) لكثرة من قتلت من الشعب الإنجليزي لفرض المذهب الكاثوليكي، ووقع في عهدها أحداث مثيرة، من أبرزها أنها أصدرت أمراً إلى الأساقفة والعلماء بقبول برنامجها لإعادة المذهب الروماني، فلما رفضوا أمرت بإعدامهم حرقاً! توفيت سنة ١٥٥٨م، وتولت بعدها أختها من أبيها البروتستانتية (إليزابيث الأولى) ينظر موقع الموسوعة البريطانية: Britannica.com

(٨) سيأتي التفصيل عنه في المبحث الثاني.

(٩) سيأتي التفصيل فيه في المبحث الثالث.

(١٠) ولد جيمس سنة ١٥٦٦م، في قلعة أدنبرة، وأمه هي الملكة ماري، وقد نشأ كعضوٍ في الكنيسة البروتستانتية في اسكتلندا، وفي عام ١٥٨٣م تسلم مقاليد الحكم في اسكتلندا، واستطاع أن يعيد إلى السلطة الملكية سيادتها، وبعد وفاة الملكة اليزابيث الأولى عام ١٦٠٣م انتقل إليه عرش إنجلترا، إلى أن توفي عام ١٦٢٥م.

(١١) أكبر مدن ولاية بينسلفانيا، في الولايات المتحدة الأمريكية، وأصل الكلمة يونانية تعني: الحب الأخوي، تقع على الساحل الشرقي للولايات المتحدة.

(١٢) ينظر كتاب: Ron Rhodes,The Complete Guide to Christian, pp:(369-375) وكتاب: James H.Smylie, A Brief History Of The Presbyterians,,pp:(30)

(١٣) القس/جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، (٢٧٨/٤-٢٩٣) أندرو مِلر، مختصر تاريخ الكنيسة، ص (٦٧٣ وما بعدها)

(١٤) (University of St Andrews): هي أقدم جامعة في اسكتلندا، وإحدى الجامعات البريطانية العتيقة، وثالث أقدم جامعة في الدول المتحدثة بالإنجليزية، حيث تأسست بين عامي ١٤١٠-١٤١٤م وتقع الجامعة في مدينة سانت أندروز على الشاطئ الشرقي لاسكتلندا.

(١٥) وفق ما جاء في (رومية ١٣: ١-٦) ونصه: "١.لتخضع كل نفس للسلاطين الفائقة، لأنه ليس سلطانٌ إلا من الله، والسلاطين الكائنة هي مرتبة من الله.٢.حتى إن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله، والمقاومون سيأخذون لأنفسهم دينونةً...٦.فإنكم لأجل هذا توفون بالجزية أيضاً، إذ هم خدام الله مواظبون على ذلك بعينه."

(١٦) وِل ديورَانت، قصة الحضارة (٢٠٨/٢٥).

(١٧) ينظر كتاب: James H.Smylie, A Brief History Of The Presbyterians,,pp:(31)

ولجون نوكس كتاب مهم مطبوع؛ هو: The History of the Reformation in Scotland,1991,Bannar Truth

(١٨) ينظر: المصدر السابق، وكتاب: D.M.Lloyd-JonesJohn Knox and the Reformation,pp ولجون نوكس كتاب مهم مطبوع؛ هو: The History of the Reformation in Scotland,1991,Bannar Truth

(١٩) انظر تفاصيل حياته ومذهبه في: القس/جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، (١٩٨/٤-٢٧٧)، أندرو مِلر، مختصر تاريخ الكنيسة، ص(٦١٥ وما بعدها).

(٢٠) وِل ديورَانت، قصة الحضارة (٢٣٥/٢٤).

(٢١) نَشر كالفن هذا الكتاب أولاً باللغة اللاتينية في ستة فصول، ثم ترجمها إلى الفرنسية عام ١٥٤١م، ثم أصدر كالفن هذا الكتاب في شكله النهائي عام ١٥٥٩م في ٨٠ فصلاً. وطُبع الكتاب مؤخراً باللغة العربية مترجماً من النص الإنجليزي سنة ٢٠١٧م، نشرته: دار منهل الحياة، بيروت.

(٢٢) ولد عام ١٤٨٤م، وكان زعيماً للإصلاح في سويسرا، ومعاصراً لمارتن لوثر، وكان على خلاف معه في طبيعة المسيح وفي القربان المقدس...وغيرها، توفي عام ١٥٣١م.

(٢٣) مصلح بروتستانتي ألماني ولد عام ١٤٩١م، لقيَ لوثر سنة ١٥١٨م، حاول توحيد البروتستانت والكاثوليك من خلال إنشاء كنيسة واحدة للألمان؛ لكنه لم يفلح في ذلك، وتعرض لمضايقات أجبرته على الهجرة إلى إنجلترا، وبقي فيها إلى أن توفي عام ١٥٥١م.

(٢٤) ينظر: وِل ديورَانت، قصة الحضارة (٢٤/٢٢٩-٢٣٢)، والموسوعة البريطانية على الرابط: https://www.britannica.com/event/Reformation

(٢٥) ينظر كتاب: James H.Smylie, A Brief History Of The Presbyterians ,pp:(15-20)

(٢٦) ولد في عنّابة الجزائر عام ٣٥٤م وتوفي عام ٤٣٠م ويعتبر أهم الشخصيات المؤثرة في العالم المسيحي، من أعماله: الاعترافات، ومدينة الله، يعظمه البروتستانت وخاصة الكالفنيون، ويعتبرونه أحد مصادر اللاهوتية وتعاليم الإصلاح البروتستانتي حول النعمة والخلاص، وفي ميلانو بدأ حياة التحول، وكان متحمساً للأفلاطونية المحدثة؛ وقد تأثر بها وبالرواقية. انظر: الموسوعة البريطانية رابط:

https://www.britannica.com/biography/Saint-Augustine/Life-retold

(٢٧) انظر كتاب: S.L.Morris, Presbyterianism ITS principles and Practice,p:(42)

(٢٨) المصدر السابق (ص٤٤).

وهذا التبرير الأخير لا يجعل الكالفينية متوسطة بين الجبر ونفي القدر؛ بل هو جهل في حقيقة الجمع بين إثبات الاختيار للإنسان ونفاذ القدر الإلهي؛ وهي مسألة دقيقة جداً من مسائل الاعتقاد عند المسلمين، وفي هذا الكتاب يذكر مؤلفه بأن مذهب القدرية هو مذهب نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ولذا يقول: "في القرآن الكريم يمثل محمد "الله" إلهه على أنه نتف قطعة من الطين ورماها إلى الخلف على كتفه لمن يجب إنقاذهم، ويقول: لا يهمني! ثم ينتف قطعة أخرى ويرميها على كتفه؛ ويقول: لا يهمني! يعرف هذا باسم القدرية وعقيدة المحمدية..." وهذا جهل منه فقد أخذ مذهب القدرية التي تثبت مشيئة العبد وتنفي مشيئة الرب في أفعال العبد؛ وجعله هو مذهب المسلمين الصحيح! وربما اعتمد على مصادر المعتزلة في هذه المسألة، وليس هذا موضع التفصيل في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة.

(٢٩) انظر: وِل ديورَانت، قصة الحضارة (٢٤/٢١٥).

(٣٠) المصدر السابق (٣٥/١٥٦).

(٣١) المصدر السابق (٢٥/٢٠٤).

(٣٢) المصدر السابق (٢٥/٢١٣).

(٣٣) كتاب: S.L.Morris, Presbyterianism ITS principles and Practice,p:(42)

(٣٤) كلمة يونانية تعني: التجمّع في الكنيسة المسيحية، بحيث يجتمع مجلس محلي أو إقليمي لحل مسائل الانضباط أو الإدارة، ويرجع أقدم السينودسات إلى منتصف القرن الثاني، وفي بعض الكنائس البروتستانتية أصبح مصطلح السينودس للدلالة على الوحدة التنظيمية وإصلاح التقاليد؛ كما في الكنيسة المشيخية، حيث يتكون السينودس من عدد من الكهنوت. انظر: الموسوعة البريطانية؛ رابط:

https://www.britannica.com/topic/Presbyterian-churches

(٣٥) انظر: الموسوعة البريطانية؛ رابط:

https://www.britannica.com/topic/Presbyterian-churches

(٣٦) S.L.Morrism, Presbyterianism ITS principles and Practice,pp (11-12)

(٣٧) وِل ديورَانت، قصة الحضارة: (٢٥/٢١٩-٢٢٠).

(٣٨) انظر كتاب: Ron Rhodes, Comprehensive guide to Christian denominations,pp (43-44)

(٣٩) انظر: الموسوعة البريطانية؛ على الرابط: https://www.britannica.com/topic/Scots-Confession

(٤٠) يتم استخدام مصطلح: "اعتراف الإيمان" أو "العقيدة" بالتبادل، ولكن عند تمييز "العقيدة" تشير إلى تأكيد موجز للإيمان المستخدم في طقوس العبادة العامة أو التنشئة، بينما" اعتراف الإيمان" يستخدم بشكل عام للإشارة إلى إعلان عقائدي أطول وأكثر تفصيلاً ومنهجية .وعادةً ما يقتصر المصطلح الأخير على مثل هذه الإعلانات داخل العقيدة المسيحية، ويرتبط بشكل خاص بكنائس الإصلاح البروتستانتي. (جورج آرثر) : المصدر السابق.

(٤١) منشور على موقع: الكنيسة المشيخية الحرة في اسكتلندا: Free Presbyterian Church of Scotland.

(٤٢) S.L.Morris, Presbyterianism ITS principles and Practice,p:(17-18)

(٤٣) وِل ديورَانت، قصة الحضارة: (٢٥/٢٢١).

(٤٤) وِل ديورَانت، قصة الحضارة: (٢٢/٢١٩).

(٤٥) وِل ديورَانت، قصة الحضارة: (٣٩/٧١).

(٤٦) وِل ديورَانت، قصة الحضارة: (١٤/٣٠٦).

(٤٧) انظر: S.L.MorrisS.L.Morris, Presbyterianism ITS principles and Practice,p:(140-148)

(٤٨) وِل ديورَانت، قصة الحضارة: (٢٥/٢١٩).

(٤٩) هوستن سميث، أديان العالم (ص٧٠٣).

(٥٠) وتعني كلمة (هوغونوت): الحلفاء المرتبطون ببعضهم البعض، وأول ما أطلق هذا اللقب عام ١٥٦٠م، على إثر المواجهة التي اندلعت في فرنسا بين الكاثوليك والمصلحين البروتستانت.

(٥١) S.L.Morris, Presbyterianism ITS principles and Practice,p (147)

(٥٢) انظر: James H.Smylie, A Brief History of the Presbyterians,pp: (12-14)

المصادروالمراجع:

مصادر إنجليزية:

- Clark, N. E. (1966). *A history of the Reformed Presbyterian Church*. Arts Press.
- Ha, P. (2010). *English Presbyterianism, 1590–1640*. Oxford University Press.
- Hans, J. (2007). *The Protestant Reformation* (Revised ed.). Cambridge University Press.
- Hutchison, M. (1893). *The Reformed Presbyterian Church in Scotland: Its origin and history*. Edinburgh University Press.
- Kuykendall, J. W. (n.d.). *Presbyterianism: Their history and beliefs*. Presbyterian Publishing Corporation.
- McKim, D. K. (2017). *Presbyterians beliefs: A brief introduction*. Westminster John Knox Press.

- Miller, S. (n.d.). *Presbyterianism: The truly primitive and apostolical constitution of the Church of Christ*. Presbyterian Board of Publication.
- Morris, S. L. (1922). *Presbyterianism: Its principles and practice*. Presbyterian Committee of Publication.
- Rhodes, R. (2015). *The complete guide to Christian denominations: Understanding the history, beliefs, and differences*. Harvest House Publishers.
- Shefa, M. (n.d.). *Presbyterianism*. Self-published.
- Smylie, J. H. (1996). *A brief history of the Presbyterians*. Geneva Press.
- Smith, H. C. (2010). *Religions of the world: A comprehensive encyclopedia of beliefs and practices*. ABC-CLIO.
- *The Westminster Confession of Faith.* (n.d.). The Orthodox Presbyterian Church.
- *Britannica.com.* (n.d.). *Presbyterianism.* Retrieved from https://www.britannica.com

مصادر عربية:

- لوريمر، جون. (د.ت). *تاريخ الكنيسة*. ترجمة: عزرا مرجان. (د.ط). بيروت، دار النهضة العربية.
- عاشور، سعيد. (2015). *تاريخ أوربا في العصور الوسطى*. (ط٢). بيروت، دار النهضة العربية.
- جرجس، حنا. (د.ت). *جون كالفن: حياته وتعاليمه*. (ط١). القاهرة، دار الثقافة.
- عطية، بولس. (1999). *الطوائف المسيحية في التاريخ والعقيدة واللاهوت المقارن*. (د.ط). (د.م).
- ديورانت، وِل. (1988). *قصة الحضارة*. ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون. (د.ط). بيروت، دار الجيل.
- ملر، أندرو. (2003). *مختصر تاريخ الكنيسة*. (ط٤). مصر، (د.ن).
- دياب، عيسى. (2009). *مدخل إلى تاريخ الكنائس الإنجيلية ولاهوتها*. (ط١). بيروت، دار منهل الحياة.

مواقع على الإنترنت:

www.britannica.com: موقع الموسوعة البريطانية.

: www.churchofscotland.org.uk الكنيسة في اسكتلندا.

References in Arabic:

- Lorimer, John. (d.t.). Tarikh al-Kanīsa. Translated by Ezra Marjan. (d.t.). Beirut, Dār al-Nahḍah al-ʿArabiyyah.
- ʿAshur, Saʿid. (2015). Tārīkh Ūrubbā fī al-ʿUṣūr al-Wusṭā. (2nd ed.). Beirut, Dār al-Nahḍah al-ʿArabiyyah.
- Jirjis, Ḥannā. (d.t.). Jūn Kalfan: Ḥayātuhu wa-Taʿālīmuhu. (1st ed.). Cairo, Dār al-Thaqāfah.
- ʿAṭiyah, Būlus. (1999). al-Ṭawāʾif al-Masīḥiyyah fī al-Tārīkh wa-al-ʿAqīdah wa-al-Lāhūt al-Muqāran. (d.t.). (d.m.).

- Dūrant, Will. (1988). Qiṣṣat al-Ḥaḍārah. Translated by Zakī Najīb Maḥmūd et al. (d.t.). Beirut, Dār al-Jīl.
- Miller, Andrew. (2003). Mukhtaṣar Tārīkh al-Kanīsa. (4th ed.). Miṣr, (d.n.).
- Diyāb, ʿĪsā. (2009). Madkhal ilā Tārīkh al-Kanāʾis al-Injīliyyah wa-Lāhūtihā. (1st ed.). Beirut, Dār Manhal al-Ḥayāh.